المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العـــدد 17A أيـار 2025
No.17A May 2025

في زِحام الهُويّة دراسة سيميائية للشخصيّاتِ الإغترابيّة في أدب جبران خليل جبران...إنموذجاً

م.م سميرة كاظم عباس

المديرية العامة للتربية في محافظة ديالى– العراق

Samarsamar20044@gmial.com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة سيميائية بعيدة الغور لشخصيات جبران خليل جبران الإغترابية، وذلك من خلال استكشاف الصّراعات الهوياتية التي تعصف بها في سياق تجربتها الإغترابية، بعد إلقاء الضوء على تحليل الرموز والدلالات التي يستعملها جبران في تصوير هذه الصّراعات، وكيف تعكس هذه الرموز عمق التجربة الإنسانية للإغتراب.؟ لذا سأُحاول من خلال هذا التحليل التوصل إلى فهم أعمق لآليات بناء الهُويّة المتشابكة التي تعيشها هذه الشخصيات، وكيفية تعبيرها عن صراعاتها الداخلية من خلال الرموز والعلامات التي تتخلّل نصوص جبران.

وقد إقتضت مادة الدراسة أن تكون خطة البحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: الإطار النظري والمفاهيم الأساسية.

أولاً/ السيميائية: دراسة العلامات والمعاني.

ثانياً/ تحليل ظاهرة الإغتراب.

ثالثاً/ جبران صوتُ العصر الذي لايموت.

المبحث الثاني: التحليل السيميائي للشخصيات الإغترابية في أدب جبران.

ومن ثمّ خاتمة إجمالية للدراسة التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية: (زِحام الهُوِية، الشخصيات، سيميائية، الإغترابية، جبران خليل).

المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العـــدد 17A أيـار 2025
No.17A May 2025

In the Crowd of Identity: A Semiotic Study of Alien Characters in the Literature of Gibran Khalil Gibran... Model A

Samira Kazim Abbas
General Directorate of Education in Diyala Governorate-Iraq
Samarsamar20044@gmial.com

Abstract:

This research aims to present a deep semiotic study of Gibran Khalil Gibran's alien characters, by exploring the identity conflicts that plague them in the context of their alienation experience, after shedding light on the analysis of the symbols and connotations that Gibran uses to depict these conflicts, and how these symbols reflect the depth of the human experience of alienation. Therefore, I will try through this analysis to reach a deeper understanding of the mechanisms of constructing the intertwined identity that these characters live, and how they express their internal conflicts through the symbols and signs that permeate Gibran's texts.

The study material required that the research plan be as follows:

The first section: Theoretical framework and basic concepts.

First/ Semiotics: Study of signs and meanings.

Second/ Analysis of the phenomenon of alienation.

Third/ Gibran, the voice of the age that never dies.

Second section: Semiotic analysis of alienated characters in Gibran's literature.

And then a general conclusion to the study that the research reached.

Keywords: (crowding of identity, characters, semiotics, alienation, Gibran Khalil).

المبحث الأول

الإطارُ النَّظري والمَفاهِيم الأساسيَّة

Theoretical Framework and Basic Concepts

أولاً / السيميائية: دراسة العلامات والمعاني:

مما لاشك فيه، أنّ الإنسان منذ فجر التاريخ يستنطق العلامات بحثاً عن المعنى، وفي صدد ذلك يمكننا القول: إنّ هذا العلم كنشاط، يعدُّ من أقدم وأوسع النشاطات الفكرية الإنسانية،لأنّ الإنسان حيوان سيميائي، أي أنّهُ يصطنع الدلالات ويقرأها بترجمة الرموز التي تحملها، وبرزت السيميائية –كعلم– في عصر ما بعد الحداثة، بوصفها ردّة فعل على المناهج الحداثية وخصوصاً(البنيوية)، التي إعتمدت مبدأ المحايثة وإتسمت بالإنغلاق فأقصّت كل ما هو خارج العلامة، وهذا ما ترفضهُ السيميائية التي تنفتح إلى ما وراء العلامة.(المهوس ١٣:٢٠١٦)(Almahawas, 2016: 13)

من هنا ندرك، أنَّ الإقتباس السابق يطرح لنا مقدمة تاريخية حول إهتمام الإنسان بالعلامات والمعاني منذ القدم،أي أنّ العرب في دراساتهم وكتبهم تحدثوا عن العلامة(الجاحظ،١٩٩٨:٧٦)

(Aljahiz, 1998:76)

ويرتبط ذلك بظهور السيميائية كعلم في عصر ما بعد الحداثة، إذ يؤكد النص على أنّ الإنسان بطبيعته كائن سيميائي، أي أنّهُ يخلق ويستقبل الدلالات من خلال الرموز، ويبرز النص كذلك، الدور النقدي الذي لعبتهُ السيميائية تجاه المناهج النقدية الحداثية، وخاصة البنيوية، وذلك من خلال رفضها لمبدأ المحايثة والإنفتاح على ما هو خارج العلامة. ويعود الفضل في تأسيس علم السيميائية إلى عالمي اللّسانيات والفلسفة(فرديناند دي سوسير) (Ferdinand de Saussure) و(شارل سندرس بيرس)(Sanders Peirce) (Charles ،حيث وضعا الأسس النظرية لهذا العلم.

وقد ساهمت رؤيتهما المتباينة في تأسيس حقل معرفي واسع، يهدف إلى دراسة العلامات وأنظمتها في مختلف المجالات. وقد أثّرت السيميائية بشكل كبير جداً على العلوم الإنسانية والإجتماعية، حيث أصبحت أداة تحليلية أساسيّة لفهم الظواهر الثقافية والإجتماعية المعقدة.(كورتيس،٢٠١٠:٣٣)

(Curtis, 2010: 33)

وعلى الرّغم من إختلاف التسمية والمنطلق، إجتمع كل من دي سوسير وبيرس على إيقاظ وعي معرفي جديد حول دور العلامات في تشكيل الواقع، هذا الوعي،الذي عُرف فيما بعد ب(السيميائية)،إذ تجاوز حدود

اللّغويات ليشمل كل مناحي الحياة، ونتائجه المتمثلة بالنظرية والتطبيقية، أثرّت في علوم عدة، كالأنتروبولوجيا والسوسيولوجيا، وكذلك الفنون والآداب الأخرى. ففي المجال الأدبي على سبيل المثال، شكّلت السيميائية تياراً فكرياً أثرى النقد الأدبي بأدوات جديدة لفهم النصوص الأدبية وتأويلها

(بنكراد،٢٠١٦:٩) (Bengrad, 2010: 33)

وهكذا يقدم الإقتباس السابق نظرة شاملة عن مفهوم السيميائية ودورها في فهم مختلف جوانب الحياة، إذ ألقى الضوء على أهمية السيميائية كأداة تحليلية لفهم الظواهر الثقافية والإجتماعية المعقدة، وذلك من خلال طرح بعض المحاور، وهي على النحو الآتي:

- **وضوح التعريف:** يقدم الإقتباس تعريفًا واضحاً وموجزاً للسيميائية، مشيراً إلى دورها في دراسة العلامات وأنظمتها.
- **التأكيد على الأثر:** يبرز الإقتباس الأثر الكبير الذي أحدثتهُ السيميائية على مختلف العلوم الإنسانية والإجتماعية.
- **مقارنة دي سوسير وبيرس:** أي بيان أهمية عمل دي سوسير وبيرس في تأسيس السيميائية، مع الإشارة إلى نقاط التقاء بينهما.
- **التوسع في التطبيقات:** يذكر النص مجموعة واسعة من المجالات التي تأثرت بالسيميائية، مثل الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا والفنون والآداب الأخرى.
- **التركيز على الأدب:** يُخصص الإقتباس مساحة كافية للتحدث عن تأثير السيميائية على النقد الأدبي.

ماهي السيميائية.؟

"يُشكل (علم العلامات/ السميائية...) مجالًا واسعًا ومتشعبًا، يجمع بين دراسة اللُّغة، والفنون، والثقافة، وغيرها، مما يصعب معه تحديد مفهوم ثابت ومحدد.(السرغيني،٢٠١٦:٥،٦)

(Al-Sarghini, 2016: 5,6)

والمتفق عليه عند الدارسين أنّ أصل اللّفظ –كما صرح بذلك دي سوسير– مأخوذاً من الجذر اليوناني (سيميون)، والذي يعني الإشارة أو العلامة(الأحمر،٢٠١٠:١١) (Al-Ahmar, 2010: 11)

إنّ الإقتباس المطروح شكّل (علم العلامات/ **السيميائية...) مجالًا واسعاً ومتشعباً**، يجمع بين دراسة اللّغة **والفنون والثقافة** وغيرها، مما يصعب معه تحديد مفهوماً ثابتاً ومحدداً.

التحليل:

* يُلقي هذا الإقتباس الضوء على الطبيعة الشاملة والمتعددة التخصصات لعلم السيميائية.

* يُشير إلى أنّ السيميائية تتداخل مع العديد من المجالات المعرفية، مما يجعل تحديد تعريف دقيق ومحدد لها أمراً في غاية الصعوبة.

- يبرر صعوبة تحديد مفهوماً ثابتاً للسيميائية نتيجة التنوع الواسع للموضوعات التي تدرسها. من هنا يسوغ لنا القول:(هي لفظ إصطنعه إفلاطون ليرادف لديه العلامة اللّسانية إستناداً إلى تشابه العلامات في الحقلين..)(المهوس،٢٠١٦:٢٩)(Al-Mahawas, 2016: 29)

نرى أنّ أصل مصطلح "السميولوجيا يعود إلى الجذر اليوناني "سيميون" الذي يعني الإشارة، وهو مصطلح إستعمله إفلاطون للإشارة إلى العلامة اللّغوية، وهذا التنوع في التسميات يعكس عمق الجذور التاريخية لهذا العلم الواسع والمتشعب، الذي تطوّر عبر الزمن وتأثر بالتيارات الفكرية المختلفة. ويجمع علم السيميائية بين دراسة اللّغة، والفنون، والثقافة، وغيرها، مما يجعل تحديد مفهومه أمرًا صعبًا، ولكنه في الوقت ذاته يجعله مجالًا مثمراً للبحث والإستكشاف.

وأما من الناحية الإصطلاحية، تعددت تعريفات السيميائية بناءاً على الرؤية المعرفية التي يتبناها المعرّف لأننا(بإزاء سيميائيات متكاثرة على مرّ العصور؛ حتى ليصدق أن يكون كل مشتغل في الحقل قد منحه تعريفاً يتماشى مع منظوره الذي يرتضي، لذا نجد السيمياء نظرية وعلم ومفهوم ومنهج وفلسفة في الوقت نفسه)(الشيخ علي،٢٠١٩:٩) (Al-Sheikh Ali, 2019: 9)

وذلك يعود إلى أسباب عدّة منها:

١- **تنوع الأُسس النظريّة:** شُكّلت السّيميائية من خلال تلاقح مختلف التيارات الفكرية، مما أثرَّ على منهجها وأهدافها.

٢- **تعدد مجالات التطبيق:** إمتدت تطبيقات السّيميائية لتشمل مجالات واسعة ومتنوعة، من اللّغات إلى الفنون والثقافة.

٣-**تطور المفاهيم عبر الزمن:** شهدت السيميائية تطوراً مستمراً عبر التاريخ، حيث تم تعديل وتنقية مفاهيمها الأساسية.

٤-**تنوع المصادر اللّغوية:** ساهمت اللّغات المختلفة، وبخاصة اليونانية واللاتينية، في تشكيل المصطلحات والمفاهيم السيميائية.

٥- **التنوع في الترجمة العربية** :أثرّت السّياقات الثقافية المختلفة على ترجمة المصطلحات السيميائية إلى العربية، مما أدى إلى تعدد المعاني والتأويلات.

وعلى الرغم مِن تعدد التعريفات التي قُدّمت للسيميائية، إلاّ أنّها جميعاً تتفق على أهمية دراسة العلامات ودورها في تكوين المعنى. ومنذ أن إستعمل أمبيرتو مصطلح "السيميوطيقا" كمرادف للمنطق، تطورت السيميائية لتشمل مجالات واسعة، بدءاً من دراسة اللّغة عند دي سوسير وصولًا إلى المنطق الكوني عند بيرس، وفي صدد ذلك، يمكن القول إنّ السيميائية هي العلم الذي يدرس العلامات في جميع أشكالها وتأثير ذلك على الفكر والثقافة.

أسيميولوجيا أم سيميوطيقا.؟

"عند الأوربيين إرتبط مصطلح (السيميولوجيا/ Semiology) بالعالم دي سوسير ومنهجه ذو الاتجاه اللّغوي اللّساني، وقد رأى دي سوسير أنّ هذا العلم سيكون جزءاً من علم النفس العام، كما أنّهُ قصُر دراستهُ داخل المجال الإجتماعي(حامد أبو زيد،١٩٨٦:١٤٩)(Hamed Abu Zaid, 1986: 149) أما مصطلح (السيميوطيقا/ Semiotic) فيرتبط بمنهج بيرس ذو الصبغة المنطقية الفلسفية، وإعتبر بيرس أنّ هذا العلم حاكم على كل العلوم وأنّهُ لا ينظر إلى الرياضيات، والأخلاق، والإقتصاد، والتاريخ إلاّ من زاوية سيميوطيقية"(بنكراد،٣٠:د. ت)(Bengrad, N.D.:30)

وهذان اللّفظان مترادفان عند عامة الدارسين، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع بعضهم من التفريق بينها، فقريماس على سبيل المثال يرى أنّ (السيميوطيقا) تدرس أنظمة العلامات المختلفة وتحيل إلى الفروع،

أما(السيميولوجيا) فتحيل إلى الأصول، أي الهيكل النظري العام للعلم، وذهب آخرون إلى أنّ السيميولوجيا تدرس الموضوعات اللّسانية، بينما تدرس السيميوطيقا الموضوعات غير اللّسانية"(المهوس،٢٠١٦:٣٣)(Al-Mahawas 29:2016)

مما سبق نظرة عامة عن التطور التاريخي لمصطلحي "السيميولوجيا" و"السيميوطيقا" وكيف إرتبط كل منهما بمنهج مختلف..؟ وكيف تطورت هذه المصطلحات لتشمل مجالات أوسع..؟ وذلك من خلال طرح بعض النقاط الإيجابية، ومنها:

* **الشمولية:** شملت الفقرات وجهات نظر مختلفة حول العلاقة بين المصطلحين.
* **التاريخية:** قدمت الفقرات لمحة تاريخية عن تطور هذين المصطلحين.

وإنّ صعوبة تعريف السيميائية، نابع عن صعوبة تحديد موضوعها فإنّ السيميائيات لا تنفرد بموضوع خاص بها، إنّماً تهتم بكل ما ينتمي إلى التجربة الإنسانية العادية شرطاً أنْ تكون هذه الموضوعات جزءاً من سيرورة دلالية..لإنّ كلّ مظاهر الوجود اليومي للإنسان تشكل موضوعاً للسيميائيات، إذ تدور الدراسات السيميائية حول محور أساسي هو(العلامة) وتسعى لفهم كيفية إنتاج المعنى من خلال العلامات وتأثيرها على الفكر والثقافة.(خمري٢٠٠٧:٢٣)(Khamri, 2007: 23)

ما أقسام العلامات السيميائية.؟

تقسَّم السيميائية بشكل عام إلى قسمين رئيسيين بحسب موضوعها: العلامات اللّسانية والعلامات غير اللّسانية وسيأتي بيانها بالشكل الآتي:

أ-**العلامات اللّسانية:** وهي السيميائيات اللّسانية وتسمى بـ (اللّسانيات/الألسنية) التي تطورت بعد الدراسات التقليدية وتنقسم إلي (علامات الكلام وعلامات الكتابة)، وأدنى الوحدات الصوتية تسمى فونيم وهي الوحدة المكونة للكلام وتتركب لتعطي الكلمات، وأدنى علامة للكتابة تسمى بالحرف وهي العلامات الخطية التي حددها النحاة انطلاقاً من معطيات إملائية مثل الصوتيات.(توسان،٢٨:د.ت)

ب- العلامات غير اللّسانية

وهي الميدان الفعلي للسيميائية وترتبط بكل ما له دلالة للحواس الإنسانية، كما أنّها الوسيلة الحتمية لأنظمة الإعلام كالتلفزة والسينما وشبكات التواصل الحديثة، وتنقسم إلى:

١- العلامات الشميّة:

إنّ الإنسان منذ الأزل قد راقب الروائح وصنفها إلى روائح جيدة وروائح رديئة، فالروائح الجيدة هي ما يكون أصلها نباتياً، أما الروائح الرديئة فهي التي يكون أصلها حيوانياً إفرازياً، فبعد أن رفض الإنسان الروائح الإفرازية إبتكر العطورات المصنعة لطرد الأخرى "هكذا يكون المجال الطبيعي للتواصل عن طريق الشم، فقد تحول من

وظيفته الأساسية وإنتهى إلى وضع سُنن للروائح الإنسانية معتمداً في ذلك على المعرفة الإجتماعية لا على المعرفة الحيوية للشم(توسان،٢٨:د.ت)(Toussaint, N.D.:28) ومما تجدر الإشارة إليه، إنّ سيميائيات الروائح لم تولد بعد لعدم وجود دراسة تعنى بهذا الجانب.

٢-العلامات اللّمسية:

يستعمل هذا النمط من التواصل باعتباره بديلاً للبصر في النظام الألفبائي اللّمسي (لغة برايل والعالم اللّمسي) كالعالم الشمّي يعتبر عنصراً هاماً لمراحل الطفولة الأولية فبها يعرف الإنسان ما حوله من الحرارة والبرودة والصلابة والنعومة، وهذا الحقل كاللّذي سبقه لم يتطرق إليه بالدراسة وقد حدد برنار توسان أدنى وحدة دالة على اللّمس بـ (لمسة) على غرار أدنى وحدة صوتية (الفونيم).

٣-العلامات الذوقية:

إنّ الإنسان كلما إزداد تحضراً تغيرت طريقته في التذوق ويُحلّل ذلك فلسفياً: فقد بدأ الإنسان بطبخ الأكل على النار بواسطة أدوات بدائية ثم بالغلي على الماء ثم بالهواء...إلخ وبناءاً على ذلك فإنّ طريقة الطبخ تمثل المظهر الثقافي للطعام، وقد حدد لفي تراوس أدنى وحدة ذوقية بـ(ذوقه) وهو الوحيد الذي إهتم بالتنظير لهذا المجال.

٤-العلامات الإشارية الحركية:

تستعمل الإشارة الحركية في التواصل بديلاً عما لا يراد نطقه كالكلام البذيء؛ لأنها تُكتم وتُحجب تحت إشارة سريّة تعوضها وتأخذ وظيفتها الدلالية، كما تستعمل هذه الوظيفة التعويضية للُغة الكلام الإشارية في حال لم يكن المرسل متقناً للُغة أجنبية فهو يرسل إيماءات تُعوض الدلالة اللّسانية بالإشارية، أو في نسق تواصلي جديد حتمي كلُغة الإشارة للصُم والبُكم، كما أنّها مجال خصب للاستعمال الديني والثقافي،

وقد وضع إمبيرتو إيكو اصطلاحاً لهذا الحقل وأسماه (الإيمائية) ويعني دراسة الحركات الجسدية كما حدد أصغر وحدة دالة في هذا الحقل (إيماءة)(كورتيس،٢٠٠٧:٢٨)(Curtis, 2007:28)

٥-العلامات السّمعية:

السمع هو الحاسة الثانية المستعملة في سلّم الحواس الإنسانية بعد البصر، وينقسم التواصل السمعي إلى ثلاثة أصناف وهي:

أ-**الظواهر اللّفظية:** وهي التي لا تحمل معنىً معيناً أو أيّ مفهوم آخر، ولكن لها دلالة خاصة كالأصوات التي ينطقها الأطفال.

ب-**الأصوات الطبيعيّة:** وهي ما يحتفي بالإنسان من أصوات يومية طبيعية، كتكسّر الزُجاج، وأصوات العصافير وأصوات المحركات ... إلخ.

ج-**الصائتات الثقافية:** وأفضل مثال لتوضيح هذا الحقل هو الموسيقى؛ لأنّها تعتبُر صائتيات ثقافية مُنجزة بواسطة الإنسان لأهداف تواصلية وغير تواصلية مختلفة.

٦-العلامات السّمعية البصريّة:

يعتبر هذا الحقل وليد العصر الحديث ويرتبط بشكل وثيق بالمنجزات التكنولوجية، ويعدُّ شكلاً تعبيرياً ووسيلة تواصلية إضافية، "باعتباره أشكالاً تكنولوجية لحركية الصورة وارتداد الصوت(توسان،٤١:د.ت)

(Toussaint, N.D.:41) كالتلفاز والسينما ويحدث ذلك من خلال عملية تسمى تسجيلاً.

٧-العلامات الآيقونية:

يعود الفضل في تسمية هذا الحقل إلى المؤسس بيرس، إذ قسم هذه العلامة إلى نوعين:

أ-**علامات عالية الآيقونية:** كالصور التليفزيونية الحيّة، والصور الفوتوغرافية، وبعض اللّوحات الفنية، والنماذج ومجسمات المباني والمشاريع.

ب-**علامات منخفضة الآيقونية:** وهي التي تكون المُحاكاة فيها ضعيفة، مثل بعض الرقصات الشعبية، واللّوحات الفنية كالسّريالية.

ومن الجدير بالذكر أنّ تصنيف العلامات في السيميائية ليس ثابتاً، بل يتنوع وفقًا للمقاربات النظرية المتباينة. بالإضافة إلى التقسيم المذكور، ثمة تصنيفًا آخر يعتمدُ على الإرادة (إرادية وغير إرادية) أو الطبيعة (طبيعية وصناعية).

ثانياً/ تحليل ظاهرة الإغتراب:

"لم يعش الأدباء والفنانون حالة الغربة في المكان، ولم يُعانوا الخروج من أرض الوطن والحنين إلى ديارهم وذكرياتهم فحسب،إنّما عانوا أيضاً من إغتراب الرّوح، وهي الظاهرة التي يعيشها أغلب الفنانين والأدباء وأصحاب الفكر على مرّ الزمن،غربةٌ تحوّلت إلى أعمال فنيّة وخطابات أدبيّة، أرخت لتاريخ

الحنين إلى الأوطان من جهة وإلى إظهار الحُرقة الحقيقيّة التي تتملّك الفنان من جهة ثانية" (رزوق،د.ت،جريدةعمان)(Razouk, N.D., Amman newspaper) وعلى الرغم من صعوبة تحديد المعنى الجامع للإغتراب، إلاّ أنّهُ مفهوم متأصل في التجربة الإنسانية، فهو يعكس شعوراً عميقاً بالإنفصال أو الغربة، سواء عن الذات، أوحين يضطر الفرد للنزوح عن مجتمعه،أو عن العالم بشكل عام(زيدان،٢٠٠٣:٦) (Zidane, 2003: 6) وقد عالجت العديد من الثقافات والفلسفات هذا الشعور، معتبرة إيّاه نقطة إنطلاق نحو البحث عن المعنى والهوية، ومع ذلك، تظلُّ طبيعة الإغتراب مُعقدة ومتعددة الأوجه، وتتطلب مقاربات متعددة لفهمها.

ويعالج الإقتباس المطروح ظاهرة الإغتراب من منظور ثقافي وفلسفي واسع، مؤكداً على أنّها تجربة إنسانية عالمية، ويربط بين هذا الشعور بالانفصال وبين الإبداع الفني، مما يُلقي الضوء على الدور الذي يؤديه الفن في فهم الذات والعالم.

إذ تطورت رؤية الإغتراب عبر التاريخ، فبينما رأت الكالفينية فيه إنعكاساً لسقوط الإنسان عن القداسة، إرتبط الإغتراب في العصر الحديث بالتحولات الصناعية والإجتماعية، وقدّم رؤى متباينة حول الإغتراب، فمن جهة، يرى بعض الكتاب الإغتراب كحالة لا مفر منها، نتيجة الظروف الإجتماعية والإقتصادية التي لا يمكن للفرد الهروب منها. ومن جهة أخرى، يرى بعض الكتاب أنّ الإغتراب هو فرصة للنمو الروحي، وأنّ تجاوز حالة الإغتراب تتطلب تحدي الأوضاع القائمة والبحث عن معنى أعمق للحياة. وعلى الرغم من هذه الاختلافات، فإن كلا الرؤيتين تشترك في رؤية الإغتراب كحالة تسبب المعاناة النفسية والإجتماعية، وتدفع الفرد إلى البحث عن معنى أعمق لحياته.

وظهر مفهوم الإغتراب لأول مرة بشكل منهجي في أعمال مفكرين كبار أمثال: (توكفيل و دوركايم وبير)، وروائيين أمثال: (دوستويفسكي وكافكا)، وفلاسفة أمثال: (كيركغارد ونيتشه)، ورأى هؤلاء المفكريين أنّ الإغتراب هو الجانب المظلم للحداثة، حيث تسبب في عزل الفرد عن جذوره الإجتماعية والثقافية والدينية، من هنا فإنّ الإغتراب هو نتيجة لتناقضات الحداثة، مثل الحرية الفردية مقابل الشعور بالعزلة، والمساواة مقابل فقدان الهوية (بركة ودرويش وغراب،٢٠٢٣:٢) (Baraka, Darwish and Gharab, 2023: 2)

ومن أشهر الصيغ ألتي إستعملت لوصف حالة الإغتراب هي مفهوم "الأنوميا" الذي طرحه(إميل دوركايم)،إذ لاحظ ظاهرة غريبة، وهي إرتفاع معدلات الإنتحار في فترات الإزدهار الإقتصادي والإنهيار على حد سواء.

وفسّر هذه الظاهرة بأنّ كلا الحالتين تؤدي إلى حالة من "الأنوميا"، أي فقدان المعايير والقيم الإجتماعية، وفي هذه الحالة، يشعر الفرد بالضّياع وعدم القدرة على تحديد أهدافه في الحياة، مما يدفعه إلى اليأس والإنتحار.

"بينما زعمت الأنظمة الشُّيوعية القائمة على الماركسية أنّها قضت على مشكلة الإغتراب، في حين أنّ التيارات الماركسية الغربية، وعلى رأسها لوكاش ومدرسة فرانكفورت، كشفت عن حقيقة مختلفة، فقد ركّزت هذه التيارات على تحليل أسباب استمرار الإغتراب في المجتمعات الصناعية المتقدمة، وخاصة في ظل الديمقراطيات الغربية. وتوصل هذا التحليل إلى ظهور أعمال أدبية وفلسفية واسعة النطاق تناولت مختلف أشكال الإغتراب في العصر الحديث"(غريبر،٢٠٠٧: ٨،يوليو)(Graeber, 2007: 8, July)

وبعد أحداث مايو ١٩٦٨، خضع مفهوم الإغتراب لتغيرات جوهرية. فقد تعرض النقد الأدبي الذي ركّز على هذا المفهوم لهجوم شديد من قبل تيار ما بعد الحداثة، الذي إعتبر أنّ الحديث عن تجارب فردية مثل الإغتراب بشكل منفصل عن السياق الإجتماعي واللّغوي أمرٌ غيرُ ممكن، ومع تطور هذا التيار، تراجع الإهتمام بمفهوم الإغتراب تدريجياً، وإختفى تقريباً من النقاشات الثقافية في بداية القرن الحادي والعشرين (غريبر،٢٠٠٧: ٨،يوليو)(Graeber, 2007: 8, July)

وعلى الرغم من تراجع الإهتمام لمفهوم الإغتراب في بعض التيارات الفكرية، إلاّ أنّ هذا المفهوم إستمر في الظهور في سياقات جديدة، ففي الولايات المتحدة، على سبيل المثال، شهدنا في خمسينيات وستينيات القرن الماضي جهوداً لجعل مفهوم الإغتراب قابلاً للقياس الكمّي، وذلك من خلال تطوير إستبيانات وأدوات قياس خاصة، وقد كشفت هذه الدراسات أنّ الفئات المهمشة مثل المهاجرين والأقليات تعاني من مستويات عالية من الإغتراب. وفي العقود الأخيرة، تحول الإهتمام إلى دراسة العلاقة بين الإغتراب والهوية، مما أدى إلى ظهور تصورات جديدة عن الإغتراب في سياق ما بعد الحداثة.

وإستناداً إلى ذلك، تطور مفهوم الإغتراب بشكل كبير على مرَّ الزمن، وحين ركّزت النظريات المُبكرة على الإغتراب كنتيجة للظروف الإقتصادية والإجتماعية، في مقابل ذلك ركزت النظريات الحديثة على الإغتراب كنتيجة للتعددية الثقافية ووفرة الخيارات. وعلى الرّغم من هذا التطور،لا يزال ثمّة تباين كبير بين الرؤى المختلفة للإغتراب، مما يجعل من الصعب الوصول إلى تعريف جامع مانع لهذا المفهوم.

ثالثاً/ جبران: صَوتُ العَصر الّذي لا يمُوت:

يعدُّ جبران خليل جبران أحد أبرز الأدباء والفلاسفة والشعراء العرب في العصر الحديث، ترك بصّمةً واضحةً في الأدب العربي والعالمي.وجبران ليس بحاجة إلى التخليد فهو خالدٌ بما خلّف من الآثار التي لا تُبلى جدّتها ولا سبيل للفناء إليها،(مسعود،١٩٦٦:١١) (Masoud, 1966: 11)

-المولد والنشأة:

ولد جبران بن خليل بن ميخائيل بن سعد في السادس من يناير/كانون الثاني ١٨٨٣ في بلدة بشرّي شمالي لبنان. توزعت نشأته بين مسقط رأسه في لبنان، ومدينة بوستن في الولايات المتحدة الأميركية، بعد أن هاجر إليها وهو طفل في الثالثة عشر من عمره" (مسعود،١٩٦٦:١٢)(Masoud, 1966: 12)

ومِن ثمَّ شاب مسار جبران الدراسي الكثير من التحديات، بدءاً من حرمانه من تعليم منتظم بسبب الظروف العائلية الصعبة، وانتهاءاً في رغبته الجامحة لإكتساب المعرفة بأسرع وقت، من هنا استطاع جبران أن يضع قدمه على أولى سُلَّم المعرفة في مدرسة "تحت السنديانة" في مسقط رأسه، حيث بدأ رحلته مع اللّغات السريانية والفرنسية والعربية.وفي عام ١٨٩٥ هاجر مع عائلته إلى بوستن في الولايات المتحدة الأميركية، حيث إنضم إلى إحدى المدارس الشعبية، ودرس فيها مبادئ وأُسس اللّغة الإنجليزية. كما تمكّن في مدينته الجديدة من تعلّم التقنيات الخاصة بالرّسم، وبعد ثلاثة أعوام عاد إلى لبنان للدراسة، وإنضم إلى معهد الحكمة في العاصمة بيروت، إذ إستطاع أن يطوّر معارفه ومهاراته في اللّغة العربية، ولكنّه بعد ثلاث سنوات عاد من جديد إلى مدينة بوسطن(الطريفي،٢٠١٥:٢٠) (Al-Tarifi, 2015: 20)

فيما بعد شكلت باريس محطة فارقة في مسيرة جبران الفنية، ففي فبراير ١٩٠٩، إلتقى بالفنان بيير بيرون الذي ترك أثراً بالغاً في تطور إسلوبه، كما إستفاد من زياراته المتكررة لمتاحف باريس، خاصة متحف اللّوفر، حيث تأثر بعمالقة الفن. وقد إنعكست هذه التجارب الغنية على أعماله الفنية، حيث طور تقنياته الخاصة وحصل على إجازة في فنون التصوير. وعند عودته إلى نيويورك، بدأ مرحلة جديدة من الإبداع، مستلهماً ما تعلمه في باريس(الطريفي،٢٠١٥:٣٦) (Al-Tarifi, 2015:20)

-تجربة أدبية فريدة:

كان لجبران خليل جبران دوراً بارزاً في تجديد الأدب العربي الحديث، حيث أسس مدرسة أدبية جديدة تتميز بالتجديد والتطوير .وأثرت كتاباته بشكل كبير في الشعر النثري، وإعتبرت نقطة تحول في مسار الأدب العربي.

وقدم تجربة أدبية غنية ومتنوعة، تجمع بين الرومانسية والرمزية والإنسانية، مما جعله أيقونة للأدب العربي الحديث.

إذ بدأ جبران مسيرته بكتابه "الموسيقى"، الذي ألفه بالعربية عام ١٩٠٥، وختمها بكتابين نُشرا بعد وفاته وهما "التائه" المنشور عام ١٩٣٢ و"حديقة النبي" الذي نشر عام ١٩٣٣. ويقدر عدد الكتب التي ألفها بثمانية عشر كتابا، منها (٨) باللّغة العربية و١٠ باللّغة الإنجليزية. وقد ترجم كتابه "النبي" إلى قرابة (١١٠) لغة، كما ألّف (١١) مسرحية طبعت بعد وفاته من ضمنها ثلاث غير مكتملة- كتب(٦) منها بالإنجليزية و(٥) بالعربية. وكان جبران يخطط لمؤلف آخر في لحظة موته، بعنوان(موت النبيّ) يتناول فيه العلاقة بين الإنسان والله ، لكن العمل ظل قيد الإنجاز حسب قول جبران(الخيط الناظم كان لايزال مفقوداً).(نجار،٢٠٠٨:٧١)((Najjar,2008:71

-الرابطة القلمية:

أنشأ "الرابطة القلمية" رهط من خيرة الأدباء إصطفوا جبران خليل جبران عميداً لها، التي أصبحت فيما بعد منارةً للإبداع الأدبي العربي في المهجر. وقد ساهمت هذه الرابطة بشكل كبير في نشر الثقافة العربية، من خلال إصدارها للمجلات والصحف، مثل (الفنون) و(السائح) و (السمير). وقد كانت هذه المنشورات بمثابة منبر للأدباء للتعبير عن أفكارهم وآرائهم.(مسعود،١٩٦٦:٢٣)

(Masoud, 1966:11)

الوفاة:-

رحل الأديب جبران خليل جبران عن دنيانا في نيويورك عام ١٩٣١م، ودُفنَ بدايةً في مقبرة "مونت بنيديكت" ولكن، تحقيقاً لأمنيته الأخيرة، نُقل جثمانهُ إلى مسقط رأسه بشرّي في لبنان، حيث أُقيم له متحفاً يَحملُ إسمهُ. وكأنّ روحهُ ما زالت تُحلّق فوق تُربتهِ، حيث ترك وصيةً مؤثرةً كتب فيها:(أنا حيٌّ مثلكَ، وأنا واقفٌ الآن إلى جانبك، فأغمضْ عينيكَ والتفتْ تراني أمامكَ)(عبد الرحمن،٢٠١٨:١) (Abdulrahman, 2018:1) من هنا ندرك، إنّ جبران خليل جبران بصفتة فناناً شاملاً، إستطاع أن يجمع بين الحكمة الشرقية والفلسفة الغربية في أعماله، مما جعله صوتاً عالمياً يتجاوز الحواجز الثقافية والجغرافية، وفي عصرنا الحالي تتزايد الحاجة إلى الحوار والتفاهم بين الشعوب، ولاتزال أفكاره ذات صلة وثيقة بواقعنا المعاصر.

المبحث الثاني التحليل السيميائي للشخِصيات الإغترابية في أدب جبران

Semiotic Analysis of Alienated Characters in Gibran's Literature

تعدُّ شخصية المغترب في أعمال جبران خليل جبران من أبرز السمات التي تُميز أدبهُ، لأنّها جسدت حالة الصراع بين الهوية المزدوجة والإنتماء إلى وطنين، وبين الحنين إلى الماضي والتطلع إلى المستقبل، وتأتي أهمية تحليل هذه الشخصيات، كونها مرآة عاكسة لتجربة جيل كامل عانى من تبعات الهجرة والإغتراب، كما أنّها تكشف عن عمق التفكير لجبران خليل جبران في القضايا الإنسانية الجامعة. وثمّة سمات تُميّز مدارس المهجر، وأدبها عموماً، على المستويين الموضوعي والفني..

فعلى المستوى الموضوعي، نجدُ المهاجرين مشتاقين إلى أوطانهم.. تواقون للزيارة وإستعادة أمجاد الطفولة والماضي، فهم يرغبون في حمل الشُّعلة التي يتصدون بها مسيرات الدفاع عن قضايا الوطن، ورغم المسافة إلاّ أنّ تجاربهم وجدانية وشاهدة على قصائد قد فاضت بمشاعر جياشة تتغنى بجمال بلد المنشأ (الوطن/ الأم) مع أحاسيس ممزوجة بمرارة الغربة وعلقم المنفى والإبتعاد، والمزيّة هذه كانت سمةٌ قويةٌ ومشتركة بين كافة مدارس المهجر.(هشام،٢٠٢٢:جريدة مواطن) (Hisham,2022: Muwatin Newspaper)

وأبرز ما ينجلي حين نقوم بتفكيك أيّاً من أعمال المهاجريين؟هو الحضور القوي والطاغي للطبيعة والإمتزاج بها وبث روح الحياة في مظاهرها، فكانت تقلبات ومناظر الطبيعة هي الصور المعبرة بحق عما يجوب في خواطرهم ويعتلج نفوسهم وعقولهم من مشاعر الخوف والحبّ والراحة والقلق والسعادة، والدليل على ذلك، ما تغنى به جبران خليل جبران في قصيدتهِ (المواكب)، بحياة الغابة وما فيها من صفاء وراحة(خليل جبران،٢١٣: د.ت)(Khalil Gibran, N.D: 213)

والمهاجرون ليسوا صداميين، أو هم من الأدباء والشعراء ممن يرفعون أصابعهم تجاه الشخوص والقضايا، فهم أبعد الشعراء عن أسلوب الخطابة أو توجيه الكلمة والعبارة بشكل مباشر، بل كان جلُّ عملهم هو الإشارة بهمس والتعبير برقة عن المعنى، على أنّ وظائف اللّغة تضطلع ذاتها بنقل المعنى الذي لا يحتاج إلى تعقيد أو تحميله أكثر مما يحتمل، الأمر الذي جعل معانيهم وعباراتهم تتسلّل إلى نفوس البشر والقُراء كما يتسرّب الماء إلى جذوع الشجر".(هشام،٢٠٢٢:جريدة مواطن) (Hisham,2022: Muwatin Newspaper)

أما على المستوى الفني والشكلي، فالمهجريون غير متكلفين..فهم متمردون بطبيعتهم على الغربة، وتمتد موجات هذا التمرد إلى اللُّغة ومجابهة إستعمال الغريب منها أو غير الملائم للعصر، فأيسر قراءات الشعر وأقربها إلى نفوس غير المتبحرين في اللّغة هي قصائد وأعمال المهجر، حيث السّلاسة والبساطة ورقة اللّفظ مع دقتهِ في الوقت ذاتهِ، وقد تميزوا بذكاء يمنعهم من الإندثار وركاكة اللّفظ وسطحية المعنى في الإعتماد على الصورة البلاغية البديعة وأُطر التصويرات الجمالية. فالصّور الفنية في القصيدة المهجرية تعمل على تشخيص المعنى المقصود؛ فتستطيع الصورة التعبير عن موقف الشعر وعاطفته؛ لذا جاءت معظم قصائدهم لوحات فنية مليئة بالحياة والحركة(جميل سراج،١٩٥٥:٢٧٧)(Jamil Siraj, 1955: 277)

وقد تميزت أعمالهم استكمالا للشكل الفني، بالدّعوة إلى الوحدة الموضوعية في القصيدة وكانت هذه أبرز سمات التأثر بمدارس الغرب خاصة المدارس الأمريكية، من حيث مضمون القصيدة وأفكارها،إذ ترتبط بشكل كبير مع الفكرة الرئيسية للعمل المُعَبَّر عنه في عنوان القصة أو القصيدة. فضلاً عن ذلك، إنتقال سمات الموشحات الأندلسية وظهور المطولات في شعرهم مع التمرد على الأوزان العروضية الشائعة والإعتمادعلى القصة كوسيلة للتعبير؛ فنجد شخصيات المهجريّين تتحاور وتتصارع لتعبر عما يجول في مكنوناتها وسرائرها.(داود،٢٠٠٣:٢٧١)(Dawoud, 2003: 271)

وكانت دوافع الهجرة والغربة لدى أدباء المهجر في معظمها سياسية وقد إرتبطت ارتباطاً وثيقاً لإضطهاد الدولة العثمانية للمفكرين والأدباء ومن أبحروا خارج السّرب ودعوا إلى حرية أوطانهم والتمسك بالهوياتية التي تميز كل أمة خارج إملاءات العثمانلي وحكم الأتراك، فما بين البحث عن لقمة العيش، وتأمين حياة إجتماعية أفضل، وما بين الهروب من التنكيل والملاحقة والتضييق الأمني، إضطر كثير من المبدعين، منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى اليوم، إلى هجرة أوطانهم، وإنتشروا في العالم،خاصةً بلدان الغرب الأكثر إنفتاحاً وحرية، ليصنعوا حالة إبداعية فريدة في المشهد العربي، بل والعالمي، لا سيما فيما صنعه المهجريّ. ونلحظ، أن المبدعين من الشبّان إتجهوا أيضاً إلى الهجرة بالتزامن مع تلاشي التجربة المهجرية بوفاة أعلامها في القارتين اللّتين شهدتا بزوغ شمس تجربة المهاجر، أو برجوع آخرين إلى أوطانهم مثل ميخائيل نعيمة إلى لبنان.(الفاخوري،١٩٦٨ ٢٣٤) (Al-Fakhouri,1968: 234)

وثمة عوامل أُخرى (غير الذاتية) التي تُعزّز من إنتاجات أدب الإغتراب، ألا وهي قضايا حرية الفكر والرأي والتعبير وبروز صورة المجتمع المُكَفِر، والأصوات العالية المدعومة بشكل مؤسسيّ والتي تعمل على الحفاظ على الركود الفكريّ وإحتكار الآراء والأفكار التي يمكن طرحها على المجموع والعامة، وهنا يرى المبدع أفكاره ليست على مقاسات الجميع، ويمكن لأفكاره ومؤلفاته أن تحرمهُ مساحات الرضا ونطاقات الوفاق فيختارون أمن التوافق على علقم قضبان السُجون ونقم رجل الشارع ووخز ألسنة الصحافة وسهامات النقد من الانتلجنتسيا "النخبوية" التي تدعمها الدولة.(الفاخوري،١٩٦٨:٢٣٤) (Al-Fakhouri, 1968: 234)

من هنا، يصبح المبدع غريباً ويغرق في إغترابه ويحاول أن يفك الطلاسم والحوائط التي تمنعهُ من الوصول والتواصل مع أبناء مجتمعه بالرّمز أحيانا أو بالإسقاط تارة أو بهجر القالب الذي يبدع فيه إلى قالب آخر تحتمله الدولة بنخبتها برضاء الغالبية، أو أن يكون أمارة كمهجريٍ قديم ترك الوطن وهجره طوعاً لكي يستطيع أن يعبر ويقول، ويلجأ إلى دور النشر الخارجية. إلاّ أنّنا نقرُ بأنّ وسائل التواصل والتطور التقني، قد منحتا المبدع فرصة أكبر للتواصل، وأنّ يُملي على الناس ما يريد من أفكار إلاّ أنّ توفر الوسيلة لا يعني هجره لمساحة الإغتراب طالما أنّهُ قد قُوبل بالرفض وإهامات التكفير والمروق والزندقة فتصبح إبداعاته سهاماً يوجهها المفكر والكاتب بنفسه إلى صدره.

وإستناداً الى ذلك، سأحاول التوغل في عالم جبران الروائي للبحث عن مقتطفات من رواياتة (النّبي/١٩٢٣)لإختيار هذا النص،الذي يقول فيه: ونبدأ برواية

(تسألون الآن في قلوبكم كيف لنا أن نُميّز بين ماهو جيّد في اللّذة وما ليس جيداً.؟) (خليل جبران،د.ت:٥٥) (Khalil Gibran, N.D.: 55)

نلحظ أنّ النّص أشبه بالقطعةً الأدبيةً الغنيّة بالرّمزية والمُثقلة بالمعاني المتنوعة، لذا يمكننا تحليله من خلال العدسة السّيميائية، أي دراسة الأنظمة الإشارية والمعاني المتعددة المستويات التي تحملها، وربط ذلك بظاهرة الإغتراب التي تتكرر في أعمال جبران.

التحليل السيميائي للنص:

- **اللّذة كرمز:**

*تمثل(اللّذة) هنا رمزًا للحياة، للمشاعر الإنسانية، وللأشياء الجسدية والروحية التي تجذب الإنسان.

* تحمل اللّذة في الوقت ذاته، دلالة على التحدي والإختيار، فالإنسان يواجه باستمرار قرارات حول نوع اللّذة التي يسعى إليها وكيفية تحقيقها.؟

- **الجيد والسّيء:**

* تعبيران نسبيان ومتغيران، يعتمدان على الزمان والمكان والثقافة والفرد.

* يشيران إلى الصراع الداخلي الذي يعيشه الإنسان في سعيه لفهم ماهية الخير والشر، وكيفية التميّيز بينهما في عالم مليء بالتناقضات والتعقيدات..؟

السؤال كعلامة إستفهام:

* يعكس السؤال حالة من الشّك والتساؤل التي هي سمة من سمات الوجود الإنساني.

* يدعو المتلقي إلى التفكير والتأمل في طبيعة السّعادة واللّذة، وكيفية تحقيق التوازن بين المُتعة والمسؤولية..؟

أماعن صورة الإغتراب في النص المقتطف:

- **الإغتراب عن الذات:**
- يشعر الإنسان بالحيرة والتيه في محاولته فهم ذاته ورغباتها.

* السؤال المطروح يعكس هذا الإغتراب، إذ يجد الفرد صعوبة في تحديد ما هو مفيد له وما هو ضار.

* **الإغتراب عن المجتمع:**

* لا يقدم المجتمع إجابات جاهزة عن الأسئلة الوجودية، بل يطرح بدوره مجموعة من القيم والمعايير المتضاربة.

* يشعر الفرد بالوحدة والعزلة في مواجهة هذه التضاربات، مما يزيد من حدة شعوره بالإغتراب.

الإغتراب عن العالم:

* يعكس السؤال رغبة الإنسان في فهم العالم من حوله، وكيفية تفاعله معه.؟

* يشعر الفرد بالغربة في عالم كبير ومعقد، حيث لا يجد مكانًا ثابتًا أو هوية واضحة.

وإستناداً إلى ذلك يمكن القول: إنّ النص المذكور يعكس لنا عمق الفكر الجبراني، حيث يطرح أسئلة جوهرية حول طبيعة الوجود الإنساني والمعنى والحياة، من خلال تحليل السيميائية، والإغتراب. من هنا ندرك، مدى أهمية أعمال جبران في فهم الذات والعالم من حولنا.

ومن رواية (النبيّ) أيضاً نقتطف هذا النص الذي يقول فيه :

(لكنّ النّدم ضباب يلفُّ الفكر،لا أدبٌ يؤدبهُ)(خليل جبران،د.ت٥٥) [١]

(Khalil Gibran, N.D.: 55)

التحليل السيميائي للنص:

- **النّدم ضباب:** إنّ تشبيه (الندم)ب(الضّباب) مُثقل بطاقة إيحائية مكثفة ، فالضباب يعمي الرُّؤية ويحجب المعالم، تماماً كما يفعلُ الندم الذي يحجبُ عقل الإنسان عن التفكير المُفعم بالصفاء والوضوح ،والضّباب مؤقت يتلاشى بفعل الشّمس، مما يشيرُ إلى أنّ النّدم قد يكون حالة مؤقتة أيضاً قابلة للتغيّير.
- **الفكر:** (الفكر) هنا هو ساحة المعركة الداخلية التي يدور فيها صراع الإنسان مع ذاته .، فالنّدم يلفُّ هذا الفكر ويجعله عاجزاً عن التحرر من الأسر.
- **لا أدبٌ يؤدّبهُ:** هذه العبارة تعكسُ عجز الإنسان عن التحكُّم في مشاعر النّدم، فالأدب هنا يعني القوانين والتقاليد والأعراف التي تتحكم في سلوك الإنسان، ولكن النّدم يتجاوز هذه القوانين ولا يخضع لها.

تحليل الإغتراب في النص:

يشعر الإنسان بالنّدم عندما يدرك أنّهُ إرتكب خطأً أو أذى الآخرين، وهذا الإدراك يؤدي إلى الشعور بالانفصال عن ذاته وعن العالم من حوله، فالنّدم هنا يجعلُ الإنسان يشعرُ بأنّهُ غريبٌ في عالمه الخاص، وكأنّهُ، يعيشُ في ضَباب كثيف يحجبُ عنه الرؤية الحقيقية، والشعور بالإغتراب هو جوهر المعاناة التي يعبر عنها النص ..لذا فهو يجسد عمق حالة الإنسان عندما يواجه ندمهُ. **ومن رواية (يسوع إبن الإنسان/١٩٢٨) نقرأ لجبران هذا النص:**

(كانت كما لو أنّ عظامَها من البرُونز وأعصابُها من الدّردار العتيق أما عيناها فكانت كالسّماء واسعتين وجريئتين) (خليل جبران،د.ت:١١٦) (Khalil Gibran, N.D:116)

النص المقتبس، يحمل في طياته العديد من الدلالات السيميائية التي تعكس عمق رؤية الكاتب ورغبته في تصوير شخصية معقدة ومميزة ، من هنا، سأُحاول في هذا التحليل إلقاء الضوء على هذه الدلالات، مع التركيز على ظاهرة الإغتراب التي يعكسها هذا الوصف الدقيق للمرأة.

التحليل السيميائي للنص:

- **عظام من البرونز وأعصاب من الدّردار العتيق** :هذه المقارنة تعكس قوة وصلابة هذه المرأة، ف(البرونز) مادة قوية تدلُ على الإستقرار والصّلابة، و(الدّردار) شجرة عتيقة معروفة بصلابتها وقدرتها على

تحمل العوامل الجوية القاسية، هذه الصفات مجتمعة تجعلُ من هذه المرأة تبدو وكأنها صخرة صلبة لا يمكن هزُّها.

- **عيناها كالسّماء واسعتين وجريئتين:**إنّ(العيون)،هي مرآة الروح، والإرتكاز هنا على عنصر (التشبيه)،وفي هذه الحالة،،تعكس عينا هذه المرأة إتساع أفقها وجرأتها في مواجهة الحياة،و السّماء) رمز اللامحدودية والحرية، والجرأة، وهي صفة تدل على الثقة بالنفس والشجاعة.
- **الإغتراب:** إنّ هذا الوصف الدقيق للمرأة، يحملَ في طياته نوعاً من الإغتراب، فالمرأة هنا تبدو وكأنّها لا تنتمي إلى هذا العالم، فهي مختلفة عن غيرها بصلابتها وقوتها وجُرأتها عينيها، وهذا
- **التميّيز:** المرأة هنا تتميّز عن غيرها بصفات غير عادية، مما يجعلها تشعُر بالوحدة والإغتراب.
  - **البحث عن الهوية:** قد تكون هذه المرأة تبحث عن هويتها الحقيقية، وتشعر بأنّها لا تنتمي إلى أيّ من التصنيفات الإجتماعية المتعارف عليها.؟
  - **التحدي للمجتمع:** قد تكون هذه المرأة تُمثل تحدّياً للمعايير الإجتماعية السائدة، مما يجعلُها عرضة للنبذ والرفض.

النص مؤطر بصورة معقدة ومثيرة للمرأة، ومن خلال التحليل السيميائي، نلحظ نجاح جبران في تصوير شخصية لها صفات معينة، فهي مرآة عاكسة لعمق تفكيره ورؤيتهُ للحياة، لذا فإنّ ظاهرة الإغتراب التي تتجلى في هذا الوصف تدعوننا للتأمل في طبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع، وكذلك في البحث عن الهوية الذاتية.

ومن(عرائس المروج/ ١٩٠٦) نقرأ هذا النص:

(ذلك الحُبُّ القويُّ العظيم يَشملُ قلْبهُ ويَمتلكُ أنفاسَهُ، ذلك الحبُّ الّذي يُبيحُ مكنونات النّفس للْنفس ذلك الحبُّ الذي نسمَعهُ متكلّما عندما تخْرسُ ألسنةُ الحياة،ونراهُ منتصباً كعمُود النّور، عندَما تحجُبُ الظّلمة كلّ الأشياء، ذاك الحبُّ ذلك الإله،قد هبط في تلك السّاعة الهادئة...وأيقظَ فيهاعواطف حلوةٌ ومرةٌ....)(خليل جبران،د.ت:٢٥) (Khalil Gibran, 25: N.D)

التحليل السيميائي للنص:

- **الحبُّ كقوة كونية:** يصف جبران (الحُبُّ) بأنّهُ قوة كونيةٌ تتجاوز حدود الفرد، فهو "يشمل قلبه ويمتلك أنفاسه"، أي أنّهُ يتحكم في كل جوانب وجود الإنسان.

- **الحبُّ كمعرفة:** يرى جبران أنّ (الحبَّ) يفتح أبواب المعرفة، فهو "يبيح مكنونات النفس"، أي أنّهُ يكشفُ للإنسان عن ذاتهِ الحقيقية.
- **الحبُّ كضوء:** هنا يُشبّه جبران الحبِّ بالضّوء الذي يُنيرُ الظلام، فهو "ينتصب كعمود النور"، أي أنّهُ يوجه الإنسان نحو الحقيقة والمعرفة.
- **الحبُّ والتناقض:** يصف جبران (الحبّ) بأنّهُ (حلوٌ ومرٌّ)، مما يعكس طبيعة الحُبّ المعقدة التي تجمع بين اللّذة والألم، وبين السّعادة والحزن.

ظاهرة الإغتراب في النص:

بما أنّ النص يصف لحظة مفعمة بالحبّ الشديد، إلاّ أنّهُ يكشف أيضًا عن عمق الشعور بالإغتراب الذي يعانيه الإنسان فالحبُّ على الرّغم من أنّهُ يوفرُ للإنسان الشعور بالإنتماء والإتصال بالكون، إلاّ أنّه في الوقت ذاته يبرزُ وحدتهُ وعزلتهُ فاللّحظة التي يصفها جبران، هي لحظة إنفصال عن العالم المادي، وهي لحظة إندماج في عالم الروح، وهذا الإنفصال هو جوهُر تجربة الإغتراب.أي أنّ وصف الحُبّ بأنّهُ "الله" الذي يهبط على النفس يعكسُ البحث عن المعنى والهدف في الحياة، وهو بحث يواجههُ كلّ إنسانٍ في لحظات الوحدة والشّك.

بمعنى آخر يمثل لنا النص، لحظة شعرية بعيدة الغور في رواية "عرائس المروج"، حيث يتجلى جمال أسلوب جبران في وصف الحُبّ كقوة كونية تُغير حياة الإنسان، من هنا يسوغ لنا القول: أنّ جبران ليس مجرد كاتب، بل هو فيلسوف وشاعر يبحث عن معنى الحياة في أعماق النفس البشرية.

ومن رواية (دمعة وابتسامة/١٩١٤)،نقتطف هذا النص الذي يقول فيه: **(لنجلسَ بقربِ تلكَ الصّخرة حيثُ يختبئ البنفسج، ونتبادلُ قُبلاتُ المحبّة)**(خليل جبران،د.ت١٤٥) (Khalil Gibran, N.D:145)

النص مؤطر بلحظة حميمية بين شخصين، حيثُ يتطلعان إلى الإنسحاب من صخبِ الحَياة والتقرُّب من الطبيعة لتبادل مشاعر الحبِّ، في هذا التحليل، سأقوم بتفكيك العناصر السّيميائية للنص، بحيث تكون هذه العناصر، مرآة عاكسة لظاهرة الإغتراب الإنساني، ورغبة الفرد في الهروب إلى عالم آخر بحثاً عن السكينة والراحة النفسية.

التحليل السيميائي للنص:

الصّخرة والبنفسج:

* **الصّخرة:** ترمز إلى الثبات والإستقرار، وهي ملاذ آمن بعيدًا عن تقلبات الحياة وتدلّ أيضاًعلى القوة والشجاعة، حيثُ يختار العُشاق هذه الصّخرة بالتحديد للجلوس بجانبها، مما يشير إلى قوة علاقتهما وقدرتها على تحمل تقلبات الزمن.

* **البنفسج** : يرمز إلى الحبّ والحنان والجمال، وهو(زهرة رقيقة) تنمو في الأماكن الهادئة والمنعزلة، ويمثل البنفسج هنا جزءاً من الطبيعة البكر ألتي يبحث عنها العُشاق للانصهار في جمالها.

* **الجلوس:** يرمز(الجلوس) إلى الراحة والإسترخاء، وهو عكس الحركة والنشاط .يدعو العُشاق إلى الجلوس بجوار الصّخرة، مما يُشير إلى رغبتهما في التوقف عن عجلة الحياة اليومية والاستمتاع بلحظة من الهدوء.

* **تبادل قُبلات المَحبّة:** يُمثل تبادل القبُلات أسمى صُور الحبّ والتعبير عن المشاعر العميقة، و في هذا السياق، تدلّ (القبُلة) على الرّغبة في الوحدة والإنسجام مع الحبيب، والهروب من العالم المليء بالصّراعات والمشاكل وكل ما يتعلق بالواقع المعاش.

ظاهرة الإغتراب في النص:

يعكس النص صورة واضحة لرغبة الإنسان في الهروب من العالم المليء بالصراعات والضغوط النفسية، والبحث عن ملجأ آمنٍ حيث يشعر بالإنتماء والسكينة، ف(الطبيعة)هنا تمثل هذا الملجأ، ولفظتا(الصّخرة والبنفسج) هما رمزان لهذا العالم المثالي الذي يتوق إليه العُشاق.

أسباب الإغتراب:

- **العيش في عالمٍ صاخب:** يدفعُ الإنسان إلى البحث عن ملاذٍ هادئ بعيدًا عن ضوضاء المدن والعمل.
- **الشعور بالوحدة:** يدفعهُ إلى البحث عن الحُبّ والعلاقات القوية التي توفر له الدعم والإنتماء.
- **الرغبة في المعنى:** يدفعهُ إلى البحث عن معنى للحياة، وهو ما يجدونه في الطبيعة والجمال.

يُعدُّ النص مثالًا كلاسيكياً على كيفية استعمال اللّغة الشعرية لوصف تجربة إنسانية عميقة، فمن خلال تحليل العناصر السيميائية للنص النثري، نستطيع أن نفهم كيف أنّ الرّغبة في الهروب من الإغتراب هي دافع أساسي في حياة الإنسان ؟، وكيف أنّ الطبيعة والحبّ هما من أهم الوسائل التي تساعد الإنسان في التغلب على هذا الشعور؟.

ونقرأ في رواية(الأرواح المتمردة/١٩٠٨)،هذا النص :

(وأنتَ شاعرٌ بعزيمتكَ متمسكٌ بأملك ولكنْ إذا كان نصيبُك من الوجود طائرًا تُحبّهُ وتطعمهُ)(خليل جبران،د.ت:٤٥)

(Khalil Gibran, N.D:45)

يُمثل النص لحظةُ تأمل بعيدة الغور، إذ يربط بين الشاعر وطموحاته، وبين قسوة الواقع وحتمية الفقد.. لذا سأقوم في هذا التحليل بتفكيك العناصر السيميائية للنص، وكيف تعكس هذه العناصر ظاهرة الإغتراب الإنساني، ورغبة الفرد في التمسك بالأمل على الرّغم من كلّ الظروف والصّعاب المحيطة به..؟ .

التحليل السيميائي للنص:

- **الشاعر:** يرمز (الشاعر) إلى الإنسانِ المُبدع، الذي يحملُ في داخله أحلاماً وطموحات كبيرة . لأنهُ شخصٌ حساسٌ ومُدرك لجمال الحياة، ولكنه في الوقت ذاته يعاني من آلامها.
- **العزيمة والأمل:** تعبر لفظة(العزيمة) عن قوة الإرادة والإصرار على تحقيق الأهداف، بينما يُمثل (الأملُ) الشُّعاع الذي يُضيء طريق الإنسان في الظلام.
- **الطائر:** يرمز(الطائرُ) هنا إلى الحرية والحُلم، فهو كائن يتوقُ إلى السّماء والفضاء المفتوح، ويمثل أيضاً الهشاشة والضعف،إذ يمكن أنْ يُفقد بسهولة.
- **نصيب:** تشير لفظة(النصيب) إلى القدر والمصير، وهو عامل خارج عن إرادة الإنسان ، وتعني أيضاً القوة التي تُحدد مسار حياة الإنسان، بغض النظر عن جهوده.

ظاهرة الإغتراب:

النص المقتبس يعكسُ بوضوح الشعور بالإغتراب الذي يُعانيه الإنسان، حيث يجد نفسهُ محاصراً بين أحلامه وطموحاته وبين قيود الواقع ،فالشاعر على الرغم من عزيمته وأملهُ، يُدرك أنّ الحياة قد تحرمهُ من أشياء يحُبّها، مثلّ (الطائر) الذي يطعمهُ، وهذا الشعوُر بالفقد والخسارة، هو جوهرُ التجربة الإنسانية، وهو ما يُولد الشعور بالإغتراب.

أسباب الاغتراب:

- **الفارق بين الحُلُم والواقع:** يدرك الشاعر أنّ أحلامهُ قد لاتتحقق، وهذا الفارق بين الحلم والواقع يولد شعوراً باليأس والإحباط.

- **قوةُ القدر:** يشعر الإنسان بأنّ ثمّة قوى أكبر منه تتحكم في مصيره، مما يجعلهُ يشعرّ بالعجز والضعف.
- **الخوف من الفقد:** يدركُ الإنسان أنّ كلّ شيءٍ في الحياة زائلُ، وأنّ الحبُّ والأصدقاء والأحلام قد تُفنى.

نرى النص هو بمثابة لحظة تأمل بعيدة المدى في طبيعة الوجود الإنساني، فالشاعر على الرّغم من أنهُ يعاني من آلام الفراق والخسارة، إلاّ أنّهُ يتمسك بأملهِ وعزيمته وهذا التناقض بين الألم والأمل هو ما يجعل تجربة الإنسان غنية ومعقدة.

الخاتمة :

بعد البحث الوصفي التحليلي في زحام الهوية دراسة سيميائة للشخصيات الإغترابية في أدب جبران خليل جبران– إنموذجاً، وصلنا إلى أهم النتائج التي تمخض عنها هذا البحث،وإنتهت إلى النتائج الآتية:

* تبين لنا، إنّ الإغتراب ليس مجرد حالة جغرافية، إنّما هو صراع داخلي معقد، فالشخصيات الجبرانية الإغترابية تعيش في زحام هويات متضاربة، تحاول جاهدة التوفيق بين جذورها الشرقية وطموحاتها الغربية.

* أظهرت الدراسة.. أنّ جبران خليل جبران إستعمل أدوات سيميائية متعددة لتوثيق هذه التجربة المعقدة، من خلال رمزية المكان واللّغة والجسد والدين..، وأبرزت هذه الدراسة، الدور المحوري للأدب في فهم النفس البشرية، وكيف أنّ الرواية يمكن أنّ تكون مرآة عاكسة لصراعاتنا وتطلعاتنا..؟

* كشفت لنا الدراسة عن عالمٍ غنيٍّ بالرّمزية والمعاني المتعددة، حيث تتجلى صراعات الهوية وتشابكاتها بوضوح، وقد أظهرت شخصيات جبران الإغترابية كيف أنّ الإنسان المعاصر يعيش في حالة من التشتُّت الهوي؟ وكيف يسعى جاهداً للعثور على مكانة ثابتة في عالم متغير.؟ فضلاً عن ذلك إنّ هذه الدراسة تدعونا إلى إعادة التفكير في مفاهيم الهوية والإنتماء، وتحثنا للبحث عن سُبلٍ للتغلب على تحديات العصر والوصول إلى حالة من التكامل والإنسجام.

* إنّ جبران خليل جبران لم يكن كاتباً فحسب، إنّما هو فنانٌ نفذ في أعماق النفس البشرية، وكشف عن جوانب خفية من الهوية الإنسانية، وقد ألهم أجيالاً من القُراء بفنهِ الرقيق وعباراته المؤثرة.

مصادر البحث ومراجعه:

أولاً/ الكتب:

– الناعوري،عيسى(١٩٧٧) أدب المهجر،ط٢، دار المعارف، القاهرة، مصر.

- الشيخ علي، حمد(٢٠١٩) الأسس المعرفية للسيمياء،ط١،دار دجلة الأكاديمية، سلسلة دراسات سيميائية.

- خليل جبران،جبران(د.ت) المجموعة الكاملة،(العربية والمعربة)، المكتبة الحديثة ناشرون،بيروت.

- الجاحظ، أبو عثمان عمروبن بحر(١٩٩٨) البيان والتبين،ط٧،ج١، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- داود، أنس(٢٠٠٣) التجديد في شعر المهجر، ط٢، بيروت.

- زيدان، عبد القادر عبد الحميد(٢٠٠٣) التمرد والغربة في الشعر الجاهلي،ط١،دار الوفاء،الإسكندرية.

- الفاخوري،حنا(١٩٦٨) الجامع في تاريخ الأدب العربي،ط١،دار الجيل، بيروت،لبنان.

- الطريفي،يوسف عطا(٢٠١٥) روائع جبران خليل جبران–مختارات أدبية، ط١، عمان، الأردن.

المهوس،عبد الرحمن إبراهيم،(٢٠١٦) السيمولوجيا الجذور المفاهيم الإمتدادات،ط١،كتب مؤلفين.–

- بنكراد،سعيد،(٢٠١٦)السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها،ط١، دار الحوار، مكتبة دار الأدب المغربي.

- جميل سراج، نادرة (١٩٥٥)، شعراء الرابطة القلمية دراسات في شعر المهجر،ط١، دار المعارف، بمصر.

- نجار،إسكندر(٢٠٠٨) قاموس جبران خليل جبران،ط١،ترجمة، ماري طوق، دارالساقي،بيروت

- توسان، برنار (د.ت.) ما هي السيمولوجيا، دار افريقا ، الشرق.

- السرغيني، محمد(٢٠١٦) محاضرات في السيميولوجيا، ط١،دار الثقافة، الدار البيضاء.

- كورتيس ،جوزيف(٢٠٠٧) مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية،ط١، ترجمة جمال حضري،منشورات الإختلاف، الجزائر،الدار العربية العلوم ناشرون،، بيروت.

- الأحمر، فيصل(٢٠١٠) معجم السيميائيات، ط١، ١٧،أغسطس، الدار العربية للعلوم ناشرون.

- خمري، حسين(٢٠٠٧) نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، ط١،منشورات الإختلاف، الجزائر،الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان.

ثانياً/ الدوريات(المجلات والصحف)

-بركة درويش وغراب(٢٠٢٣)،الإغتراب رؤية سوسية أنثربولوجية، مجلة الدراسات الأفريقية،مج٤٥،ع٣،ج٢.

- رزوق، محمد(د.ت) إغتراب الغريب في الأدب، مجلة عمان.

- هشام،محمد(٢٠٢٢) بين أدب المهجر قديماً وصور الإغتراب حديثاً،جريدة مواطن،١١سبتمبر.

- عبد الرحمن،محمد(٢٠١٨)هل كان جبران خليل جبران يعرف أنّهُ سيموت بمرض السّل،صحيفة اليوم السابع المصرية،ع١٠

References

Books

Al- Sheikh Ali, Hamad (2019) The Cognitive Foundations of Semiotics, 1st ed., Dar Dijlah Academic, Semiotic Studies Series.

Al-Ahmar, Faisal (2010) Dictionary of Semiotics, 1st ed., August 17, Arab Science Publishers.

Al-Fakhouri, Hanna (1968) The Comprehensive History of Arabic Literature, 1st ed., Dar Al-Jeel, Beirut, Lebanon.

Aljahiz, Abu Uthman Amr ibn Bahr (1998) Al-Bayan wa al-Tabyeen, 7th ed., Vol. 1, edited by Abdul Salam Muhammad Haroun, Al-Khanji Library, Cairo.

Al-Mahawas, Abdul Rahman Ibrahim, (2016) Semiology Roots Concepts Extensions, 1st ed., Books by Authors. -

Al-Naouri, Issa (1977) Literature of the Diaspora, 2nd ed., Dar Al-Maaref, Cairo, Egypt.

Al-Sarghini, Muhammad (2016) Lectures in Semiology, 1st ed., Dar Al-Thaqafa, Casablanca.

Al-Tarifi, Youssef Atta (2015) Masterpieces of Gibran Khalil Gibran - Literary Selections, 1st ed., Amman, Jordan.

Bengrad, Said, (2016) Semiotics Concepts and Applications, 1st ed., Dar Al-Hiwar, Dar Al-Adab Al-Maghribi Library.

Curtis, Joseph (2007) Introduction to Narrative and Discourse Semiotics, 1st ed., translated by Jamal Hadri, Al-Ikhtilaf Publications, Algeria, Arab Science Publishers, Beirut.

Dawoud, Anas (2003) Renewal in Diaspora Poetry, 2nd ed., Beirut.

Jamil Siraj, Nadira (1955), Poets of the Pen League Studies in Diaspora Poetry, 1st ed., Dar Al-Maaref, Egypt.

Khalil Gibran, Gibran (n.d.) The Complete Collection (Arabic and Arabized), Modern Library Publishers, Beirut.

Khamri, Hussein (2007) Text Theory from the Structure of Meaning to the Semiotics of the Signifier, 1st ed., Al-Ikhtilaf Publications, Algeria, Arab Science Publishers, Beirut, Lebanon.

Najjar, Iskandar (2008) Dictionary of Gibran Khalil Gibran, 1st ed., Translated by Mary Touq, Dar Al-Saqi, Beirut.

Toussaint, Bernard (n.d.) What is semiology, Dar Africa, Al Sharq.

Zidane, Abdul Qader Abdul Hamid (2003) Rebellion and Alienation in Pre-Islamic Poetry, 1st ed., Dar Al-Wafa, Alexandria.

Periodicals (magazines and newspapers)

- Abdulrahman, Muhammad (2018) Did Gibran Khalil Gibran Know That He Would Die of Tuberculosis, Al-Youm Al-Sabaa Egyptian Newspaper, No. 10

- Baraka Darwish and Ghurab (2023), Alienation: A Socio-Anthropological Perspective, Journal of African Studies, Vol. 45, No. 3, Part 2.

- Hisham, Muhammad (2022) Between the Literature of the Diaspora in the Past and Images of Alienation in the Present, Muwatin Newspaper, September 11.

- Razouk, Muhammad (n.d.) Alienation of the Stranger in Literature, Amman Magazine.